اسم الله

الحي

الحي

ناصر عبدالغفور

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

اسم الله الحي

ناصر عبدالغفور

شرف العلم بشرف المعلوم ومن أشرف العلوم ما عرفك بربك الذي خلقك من عدم وأنعم عليك بما لا حصر له من النعم...

ويأتي في مقدمة العلوم التي تعرفك بالله جل في علاه وتعالى في سماه العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا أحد أوجه شرفه، فكما يقول العلماء شرف العلم يظهر من ثلاثة وجوه:

موضوعه، غرضه والحاجة إليه.

فإذا نظرنا إلى العلم بأسماء الله سبحانه وصفاته وجدناه من أشرف العلوم من الوجوه الثلاثة:

- فموضوعه أسماء البارئ سبحانه وصفاته.

- وغرضه العلم بالله وبما له من أسماء حسنى وصفات عليا ونعوت جلال وجمال...

- أما بالنسبة للحاجة إليه فلا يتصور إله يعبد ويحمد ويثنى عليه ويمجد دون العلم به سبحانه وبنعوته وصفاته...ولذا كانت الآيات في باب الأسماء والصفات أكثر بكثير من غيرها في الكتاب لضرورة العلم برب الأرباب...

يقول شيخ الإسلام: "والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك.. وأعظم سورة أم القرآن[1]."[2].

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى:" وهذان الأمران -وهما معرفته وعبادته[3]- هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما أشرف عطايا الكريم لعباده[4]، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر."[5].

ومع اسم آخر من أسماء الله تعالى في هذه السلسلة المباركة.. مع اسم (الحي).

ووفقا للمنهج المتبع في هذه السلسلة، ستتم دراسة هذا الاسم الكريم في النقاط التالية:

- وروده في الكتاب والسنة.

---

(١) فعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه -مرفوعا-: ".. لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد".."الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآنم العظيم الذي أوتيته" البخاري وغيره.

(٢) كتاب "درء تعارض العقل والنقل".

(٣) ولا شك أن المعرفة مقدمة، إذ لا يتصور عبادة من لا نعرفه وهذا يبين عظم شأن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته سبحانه.

(٤) في الأصل:"وهما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده"، وقد رأيت أن العبارة المثبتة أصح والله أعلم.

(٥) تيسير الرحمن: ٧٤١.

- معناه في اللغة.
- معناه في حق البارئ سبحانه.
- آثار الإيمان به، وهو الغاية القصوى والمقصد الأسنى من معرفة أسماء الله الحسنى.

١- ورود اسم الحي في الكتاب والسنة:

أ- من الكتاب:

- يقول الله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ."-البقرة:٢٥٥-.
- ويقول جل جلاله:"الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)"- ال عمران-.
- ويقول تعالى ذكره: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)"- الفرقان-.
- ويقول جل في علاه وتعالى في سماه: "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)"-.

ب- من السنة:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" اللهم لك أسلمت وبك أمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون."-مسلم-.

- وعن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم:" من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه غفر له و إن كان فارا من الزحف."[٦].
- وعن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة"[٧].

---

(٦) صحيح أبي داود: ١٣٥٨.

(٧) رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه الألباني، انظر صحيح الترمذي حديث رقم:٢٧٢٦.

٢- معنى (الحي) في اللغة:

جاء في اللسان:" (حيا) الحَياةُ نقيض الموت... والمِحْيا مَفْعَلٌ من الحَياة وتقول مَحْيايَ ومَماتي والجمع المحايِي... والحَيُّ من كل شيء نقيضُ الميت والجمع أَحْياء والحَيُّ كل متكلم ناطق والحيُّ من النبات ما كان طَرِيّاً يَهْتَزّ وقوله تعالى "وما يَسْتوي الأَحْياءُ ولا الأَمْواتُ" فسره ثعلب فقال الحَيُّ هو المسلم والميت هو الكافر، قال الزجاج الأَحْياءُ المؤمنون والأَموات الكافرون قال ودليل ذلك قوله "أَمواتٌ غيرُ أَحياء وما يَشْعرون" وكذلك قوله لِيُنْذِرَ من كان حَيّاً أَي من كان مؤمناً وكان يَعْقِلُ ما يُخاطب به فإن الكافر كالميت"(٨).

وفي مختار الصحاح:"[حيا] ح ي ا: الحَيَاةُ ضد الموت و الحَيُّ ضد الميت و المِحْيَا مفعل من الحياة تقول محياي ومماتي و الحَيُّ واحد أَحْيَاءِ العرب و أَحْيَاهُ الله فَحَيِيَ و حَيَّ أيضا والإدغام أكثر."(٩).

قال ابن فارس رحمه الله تعالى في مقاييسه:" (حي) الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي [هو] ضِدُّ الوقاحة.

فأمّا الأوّل فالحياة والحَيَوان، وهو ضِدُّ الموت والمَوَتَان. ويسمَّى المطرُ حياً لأن به حياةَ الأرض. ويقال ناقةٌ مُحْي ومُحْيِيَةٌ: لا يكادُ يموت لها ولد. وتقول: أتيتُ الأرضَ فأحييْتُها، إذا وجَدْتَها حَيَّةَ النّباتِ غَضَّة..."(١٠).

يقول الراغب رحمه الله تعالى في مفرداته:" الحياة التي يوصف بها الباري فإنه إذا قيل فيه تعالى هو حي فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله عز وجل. والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان الحياة الدنيا والحياة الآخرة، قال عز وجل ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ﴾ وقال عز وجل: ﴿ اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ وقال تعالى: ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾ أي الأعراض الدنيوية وقال: ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ أي حياة الدنيا، وقوله عز وجل: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ كان يطلب أن يريه الحياة الأخروية المعراة عن شوائب الآفات الدنيوية. وقوله عز وجل: ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ أي يرتدع بالقصاص من يريد الإقدام على القتل فيكون في ذلك حياة النا. وقال عز وجل: ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ أي من نجاها من الهلاك..."(١١).

---

(٨) لسان العرب:١٤/٢١١.

(٩) مختار الصحاح:١٦٧.

(١٠) معجم مقاييس اللغة:٢/١٢٢.

(١١) المفردات في غريب القرآن:١٣٩.

٣- معنى (الحي) في حق الله تعالى:

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " أما قوله: "الحي" فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها."(١٢).

وقال في موضع آخر: "الحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ(١٣) من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى(١٤) من دونه إلهًا. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأنّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو."(١٥).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:" الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولا."(١٦).

وقال في موضع آخر:" هو الحي أزلا وأبدًا، لم يزل ولا يزال"(١٧).

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى:" "فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام."(١٨).

وقال في موضع آخر:"﴿ الْحَيُّ ﴾ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والقدرة، والإرادة، وغيرها، والصفات الذاتية."(١٩).

يقول الإمام الزجاج:" الحي يفيد دوام الوجود والله تعالى لم يزل موجودا ولا يزال موجودا"(٢٠).

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:" الحي: هو الفعال الدراك حتى إن من لا فعل له أصلا ولا إدراك فهو ميت وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت، فالحي الكامل المطلق هو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله

---

(١٢) جامع البيان في تأويل القرآن:٥/٣٨٦-٣٨٧.

(١٣) بالبناء للمجهول.

(١٤) بالبناء للمجهول.

(١٥) جامع البيان في تأويل القرآن:٦/١٥٧.

(١٦) تفسير ابن كثير:٢/١٧٧.

(١٧) تفسير ابن كثير:٧/١٥٦.

(١٨) تيسير الرحمن:١٢١.

(١٩) تيسير الرحمن:٩٥٣.

(٢٠) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج:٥٦.

مفعول وذلك الله عز و جل فهو الحي المطلق وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله وكل ذلك محصور في قلة ثم إن الأحياء يتفاوتون فيه فمراتبهم بقدر تفاوتهم كما سبقت الإشارة إليه في مراتب الملائكة والإنس والبهائم."[٢١].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:" (الحي) اسم من أسمائه سبحانه سمى به نفسه وهو من صفات الذات[٢٢]، وليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته إلا الله وحده..."[٢٣].

يقول الإمام الخطابي رحمه الله تعالى:" الحي من صفات الله تعالى: هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معا، و(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)"[٢٤].

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:"الحي في صفة الله عز وجل هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا فالحياة له صفة قائمة ذاتيه."[٢٥].

يقول العلامة ابن العثيمين رحمه الله تعالى:" الحي: الكامل في حياته حياة لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال فهو الحي الذي لا يموت وهو الباقي وكل من عليها فان."[٢٦].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

حي مريد قادر متكلم... ذو رحمة وإرادة وحنان[٢٧].

يقول العلامة الهراس في شرحه: "الله حي متصف بالحياة الكاملة اللازمة لذاته أزلا وأبدا، فلم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء، وجميع صفات الكمال الذاتية ترجع إلى صفة الحياة التي تعتبر شرطا فيها كلها، فإنه لا يصح اتصافه بشيء منها إلا كان حيا، ويكون كمال حياته مستوجبا لكمال هذه الصفات"[٢٨].

---

(٢١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى:١٣١.

(٢٢) وصفة الذات هي التي لا تنفك عنها، فالله تعالى لا تنفك الحياة عن ذاته، فهو الحي أولا آخرا، أزلا أبدا.

(٢٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:٣٠١.

(٢٤) شأن الدعاء: ٨٠- نقلا من النهج الأسمى:٣٥٧.

(٢٥) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث:٦٢.

(٢٦) تفسير أسماء الله الحسنى للعلامة محمد بن صالح العثيمين.

(٢٧) القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية:٢٠٣.

(٢٨) شرح القصيدة النونية المسماة:٢/٤٥١.

٤- من آثار الإيمان باسم الله تعالى (الحي):

١- اسم الحي يدل على ذات الله سبحانه وعلى صفة الحياة دلالة مطابقة، ويدل على كل منهما دلالة تضمن، ويدل على صفات البارئ سبحانه دلالة لزوم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها"(٢٩).

ومن أهل العلم من قال أن اسم الحي يستلزم جميع صفات الذات(٣٠)، كالسمع والبصر والعلم والقدرة...وأن اسم القيوم(٣١) يستلزم جميع صفات الأفعال(٣٢).

ومهما يكن فإن اسم الحي يدل على كمال الحياة التي تستلزم كمال الصفات، بحيث لا يلحقها نقص بأي حال ولا يعتريها عيب فذلك عين المحال.

٢- كل أسماء الله تعالى الحسنى تدل على صفة الحياة باللزوم، فلا يتصور كمال الأسماء والصفات بدون حياة.

فكل اسم من أسماء الله تعالى وكل صفة من صفاته إلا ويدل لزوما على صفة الحياة، فلا يمكن أن يكون قديرا إلا إذا كان حيا ولا يمكن أن يكون قويا عزيزا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون عليا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون عظيما إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون غنيا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون سميعا بصيرا إلا إذا كان حيا، ولا يمكن أن يكون عفوا كريما إلا إذا كان حيا...فجميع أسماء الله تدل على صفة الحياة التي تضمنها اسمه الحي.

٣- حياة الله جل في علاه حياة كاملة حيث لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء، وهذا الوصف ليس إلا لله سبحانه، فكل حي سواه قد سبقه عدم، ومهما طالت حياته فمآله إلى الفناء، كما قال جل في علاه:" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)"-الرحمن-، وقال تعالى:" كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ"-القصص-، فالإنس والجن والملائكة والدواب...الكل يلحقه الفناء ويبقى رب الأرض والسماء.

فهو الحي الذي لا يفنى ولا يزول سبحانه.

وصدق الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى إذ يقول في وصف البارئ سبحانه: (لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ)(٣٣).

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى في شرحه للعقيدة الطحاوية:

---

(٢٩) زاد المعاد:٤/٢٠٤.

(٣٠) صفات الذات هي التي لم يزل الله تعالى ولا يزال متصفا بها ولا تتعلق بمشيئته.

(٣١) وستأتي مدارسة هذا الاسم مستقبلا إن شاء الله تعالى.

(٣٢) صفات الأفعال هي الصفات المتعلقة بمشيئته سبحانه، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالنزول والمجيء والإحياء والإماتة وغيرها.

(٣٣) العقيدة الطحاوية.

(لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ): إِقْرَارٌ بِدَوَامِ بَقَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وَالْفَنَاءُ وَالْبَيْدُ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ أَيْضًا مُقَرِّرٌ وَمُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ: دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ."(٣٤).

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: " والملك والإنسان وجميع الحيوان وإن كان يحس ويتحرك بإرادة ويسمى حيا حقيقة فحياته عرضية غيرية لنفسه وجسمه، ولذلك تسلب عن جسمه الحياة فيموت ونفسه وإن كانت تبقى حياة مؤبدة فتقدير رفع الحياة عنها ممكن، بخلاف الحي الذي له الحياة الدائمة على الحقيقة أزلا وأبدا، وهو الله سبحانه."(٣٥).

٤- الحياة الأبدية كصفة ذاتية ليست إلا لله تعالى، وحياة أهل الجنة وإن كانت أبدية لكنها ليست وصفا ذاتيا لهم بل وصفا مكتسبا، فالله تعالى هو الذين سيكسبهم ذاك الخلود في اليوم الموعود، كما قال تعالى في غير موضع:" خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا"(٣٦)، فحياة المؤمنين في الجنة حياة أبدية بالاكتساب.

قال الله تعالى:" لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى"-الدخان:٥٦-، "أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى لم يستثن الموتة الأولى التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب."(٣٧).

فالموت الذي كان يقطع عنهم الحياة ويجعلهم رفاتا تحت التراب سيذبح(٣٨) بأمر العزيز الوهاب، كما صح الخبر عن سيد العباد صلى الله عليه وسلم صلاة لا تنتهي إلى الآباد، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي به مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي مناد يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ:" وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا"."-متفق عليه-.

---

(٣٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي:٣٧.

(٣٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:٣٠١-٣٠٢.

(٣٦) ذكر ذلك في ثمانية مواضع من القرآن الكريم.

(٣٧) تيسير الرحمن:٧٧٤.

(٣٨) بضم الياء.

فالحياة في هذه الدار الفانية لما كان يتبعها الموت كانت حياة ناقصة، بخلاف الدار الآخرة فالحياة فيها حياة كاملة لأن أهلها يحيون دون موت أبدا، ويعيشون في نعيم سرمدا، كما قال تعالى:" وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"(٣٩)-العنكبوت:٦٤-.

يقول الإمام الراغب رحمه الله تعالى في مفرداته: "وقد نبه بقوله: ﴿ لهي الحيوان﴾ أن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى."(٤٠).

فائدة: من تمام كمال حياة أهل الجنة أنهم لا يعتريهم ما يعتريهم في هذه الدار من الآفات والأسقام ولا تعرف قلوبهم شيئا من الأحقاد والأضغان، فإنهم هناك لا يمرضون ولا يقلقون ولا يحزنون ولا يغتمون ولا يتحاسدون...كما قال تعالى عنهم:" وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)"-فاطر- يقول علامة الحجاز السعدي رحمه الله تعالى: "وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد... ﴿ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه."(٤١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات."(٤٢).

ويقول تعالى: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ"، "أي: من حسد وبغضاء"(٤٣)، يقول القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى: "نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد."(٤٤).

---

(٣٩) يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها: "وأما الدار الآخرة، فإنها دار ﴿ الحيوان﴾ أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر". تيسير الكريم الرحمن: ٦٣٥.

(٤٠) المفردات في غريب القرآن: ١٣٩.

(٤١) تيسير الرحمن:٦٨٩.

(٤٢) زاد المعاد:٤/٢٠٤.

(٤٣) تفسير ابن كثير:٣/٤١٥.

(٤٤) تفسير البيضاوي:٢١.

٥- بطلان عبادة كل ما سوى الحي الذي لا يموت سبحانه، فالعبودية الحقة لا تليق إلا لمن كانت له حياة أزلية أبدية وهذا ليس إلا لله تعالى، إذ كيف يعقل صرف العبادة لمن كان قبل حياته عدم ويعود بعدها إلى العدم، بله أن تصرف لأصنام لا حياة لها البتة، فهذه مكابرة للعقل وللفطرة.

فالمفروض أن المعبود ما عبد إلا لجلب نفع وتحقيق مرغوب أو دفع ضر وصرف مرهوب، وكيف لأحجار وأشجار وكواكب أن تأتي بذلك وليس لها من الحياة ما يمكنها من نفع نفسها ودفع الضر عنها بله لغيرها.

لذلك فقد أنكر الله تعالى على المشركين أشد الإنكار تعلقهم بآلهة ليس لها من صفة الحياة نصيب فقال سبحانه:" وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ "-النحل-، فأين عقول المشركين الذين بدلا من أن يصرفوا العبادة للحي الذي لا يموت صرفوها لأموات غير أحياء؟ فكيف يعبدون من هم أنقص منهم في صفة الحياة ويتركوا عبادة رب البريات -سبحانه-.

وما أحسن ما سطره العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:"﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾ قليلا ولا كثيرا ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟ ومع هذا ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء لا علم، ولا غيره ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، أفتتخذ هذه آلهة من دون رب العالمين، فتبا لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه، ولهذا قال:﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد."(٤٥).

وقال تعالى:" وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)"-القصص-.

كلمة (إلهًا) نكرة في سياق النهي فتعم، فكل ما عبد من دون الله سبحانه فعبادته باطلة لأنه ليس له أدنى صفات الإله وفي مقدمتها الحياة الكاملة، إذ كيف يدعى ويعبد من مصيره إلى الهلاك ويصير بعد حياته إن كانت له حياة إلى الموت والفوات.

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى:" وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، وفساد نهايتها."(٤٦).

---

(٤٥) تيسير الرحمن:٤٣٧.

(٤٦) تيسير الرحمن:٦٢٥.

ويقول جل في علاه وتعالى في سماه:" هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)"-غافر-، فلكمال حياته سبحانه استحق أن ندعوه لا ندعو غيره، فندعوه بكل أنواع الدعاء: دعاء المسألة ودعاء العبادة، ودعاء الثناء(٤٧).

فلا يستحق العبادة إلا الحي الذي لا يموت، أما الحي الذي يموت(٤٨) والميت الذي ليس بحي(٤٩) والجمادات التي ليست بها أصلا حياة(٥٠) فكل ذلك لا يستحق العبادة.

ومن أنواع العبادة بل أسها الدعاء، فلا يجوز صرفه إلا للحي الذي لا يموت، لما يتصف به من صفات لازمة لإجابة دعوة الداعين واستغاثة المستغيثين، وصرفه لمن ليس له الحياة الكاملة من الأنداد والأصنام "يستلزم إثبات صفة الحياة لهم، والحياة أصل في اتصافهم بالعلم والغنى القدرة، والسمع والبصر والقوة وغير ذلك مما هو لازم لإجابة الدعاء، وقد نفي الله عنهم ذلك لأنهم أموات، فقال: (ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الملكُ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ""(٥١).

٦- التوكل لا يكون إلا على من كملت صفاته وكملت حياته، يقول تعالى:" وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ"، وإنما خص اسم الحي بالذكر هنا لأن التوكل هو اعتماد القلب كلية على المتوكل عليه في أمر المتوكل أو أموره، وفي جلب منافعه ودفعه مضاره، سواء في دينه أو دنياه، وسواء في حياته أو في أخراه، وهذا لا يمكن أن يكون إلا لمن اتصف بالحياة الكاملة التي لم يتقدمها عدم ولا يلحقها زوال.

وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"(٥٢)-مسلم-.

فالتوكل من أجل العبادات وكيف لا وهو تعلق القلب واعتماده على خالقه سبحانه، فكيف يليق بعاقل أن يصرفها لغير الحي القيوم جل جلاله؟

---

(٤٧) وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى، وكما مر معنا فمن أهل العلم من يحصر دعاء الله تعالى بأسمائه في دعاء المسألة ودعاء العبادة ومنهم من يضيف دعاء الثناء.

(٤٨) كالملائكة والأنبياء والصالحين من بيني آدم ممن عبد ويعبد من دون الله تعالى.

(٤٩) كالقبور والأضرحة التي تعبد من دون رب العباد.

(٥٠) كالأصنام والأحجار التي تعبد من دون الواحد القهار.

(٥١) أسماء الله الحسنى.

(٥٢) فانظر كيف ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم توكله بصفة الحياة وأكد كمالها بقوله (لا يموت).

كيف يليق بعبد يريد النجاة أن يعلق قلبه بمخلوق مثله لا يملك موتا ولا حياة ولا يستطيع لنفسه ولا لغيره جلب نفع أو دفع شيء من الضر والآفات؟

فالقلب ملك البدن وإذا تعلق بمخلوق ناقص الحياة صار عبدا له أسيرا لديه، بخلاف من تحرر قلبه من عبودية المخلوقين وتعلق برب العالمين، فهو الحر حقا، فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب.

وما أمتع وأجمل وأحسن ما سطره الإمام الهمام آية الزمان شيخ الإسلام ابن تيمة عليه رحمة المنان في كتابه الماتع (العبودية)(٥٣):

" ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا﴾.

وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك وإن كان في الظاهر أميرا لهم مدبرا لأمورهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ولا سيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها فإنها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص.

وأما إذا كان القلب الذي هو ملك الجسم رقيقا مستعبدا متيما لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية الذليلة لما استعبد القلب.

وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائما بما يقدر عليه من الواجبات ومن استعبد بحق إذا " أدى حق الله وحق مواليه فله أجران " ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك وأما من استُعبد قلبه فصار عبدا لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس.

فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس"(٥٤) "(٥٥).

٧- حياة الله تعالى كاملة بكماله سبحانه، فلا يلحقها نقص بأي وجه من الوجوه، فحياة كل حي لابد لها من نقص يلحقها أو ضعف يعتريها:

ومن ذلك ما يلحق حياة البشر من أمراض وعلل، وضعف بعد قوة، وعجز بعد اقتدار.

---

(٥٣) وقد رأيت أن أنقل جزءا منه لأهمته والحاجة الماسة إليه.

(٥٤) متفق عليه.

(٥٥) العبودية: ٨٨.

كما أن أي إنسان محتاج لراحة ونوم، وإذا مر زمن عليه دون نوم شعر بالإرهاق الشديد...

وهذه كلها وغيرها صفات نقص يتنزه الحي القيوم سبحانه عنها، ويتصف بكمال أضدادها، فلا يلحقه عياء ولا تعب ولا يصيبه مرض ولا وصب، ولا تأخذه سنة(٥٦) ولا نوم...سبحانه.

وكيف تأخذه جل في علاه السنة أو النوم وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا كما قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ"-فاطر:٤١-"؟ وكيف تأخذه السنة والنوم وهو القيوم الذي يقوم بشؤون الخلق كلهم وبشؤون العالم سفليه وعلويه؟(٥٧).

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه."-مسلم-.

قد يقول قائل أليست الملائكة منزهة هي الأخرى عن هذه النقائص فلا تعتريها أمراض ولا يلحقها عياء ولا تنام؟ الجواب: بلى، لكن أليست الملائكة كانت منعدمة قبل خلقها ويلحقها الفناء بعد حياتها؟ وهذا في حد ذاته نقص، فليس شيء(٥٨) يحي الحياة الكاملة من كل الوجوه إلا الحي القيوم سبحانه.

كما أن الكمال النسبي لحياة الملائكة مقارنة مع حياة البشر إنما هو كمال مكتسب وليس ذاتيا، فالله تعالى هو الذي أكسبها إياه.

٨- من كمال حياته سبحانه أنه المحيي لغيره فكل مخلوق حي فإنما أحياه الحي القيوم سبحانه، وهذا لا يتسنى لغيره البتة، فكل شيء مفتقر في حياته إليه سبحانه وليس لشيء كيفما كان أن يحيي غيره.

وقد آثرت الكلام على مسألة الإحياء في مدارسة اسم الله الحي لعدم ثبوت اسم (المحيي) لله تعالى خلافا لمن زعم ثبوته(٥٩).

---

(٥٦) بكسر السين وهي النعاس الذي يكون في العين ويسبق النوم، جاء في المعجم الوسيط:" النعاس وهو مبدأ النوم يقال أخذته السنة والغفلة يقال هو في سنة"-٢/١٠٣٣-.

(٥٧) وتصور أخي من يمسك كأسا مملوءا، كيف سيكون حال الكأس إذا نام صاحبه أو أصابته سنة؟ ولله المثل الأعلى، وقد وجدت أثرا عند البيهقي في هذا المعنى، نصه: "أن موسى عليه السلام قال له قومه: أينام ربنا؟، قال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن خذ قارورتين واملأهما ماء ففعل فنعس فنام فسقطتا من يده فانكسرتا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إني أمسك السماوات والأرض أن تزولا ولو نمت لزالتا."-الأسماء والصفات:١/١٣٢-. فهو سبحانه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، فهو القيوم بشؤون الكون والخلائق، جل عن الشبيه وتعالى عن كل نقص نسبه إليه سفيه.

(٥٨) يجوز وصف الله سبحانه بأنه شيء خلافا لمن أنكره، ويكفي للتدليل على ذلك قول البارئ سبحانه:" قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ"-الأنعام-، وقوله سبحانه:"كلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ"-القصص-...

(٥٩) وأكثر العلماء لا يثبتون اسم المحيي ولا اسم المميت، وممن أثبت هذين الاسمين الإمام القرطبي وابن العربي رحمهما الله تعالى على ما ذكره الدكتور محمد بن خليفة التميمي في كتابه:" معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى".

فإن باب الأسماء كما هو معلوم توقيفي فلا مجال للعقل ولا للرأي في تعيينها، فلا يجوز أن نثبت من الأسماء لله سبحانه إلا ما أثبته لنفسه جل في علاه أو أثبته له أعلم الخلق به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن أدلة المثبتين لاسم (المحيي-المميت) قوله تعالى: "يحيي ويميت"، وهذا استدلال غير صحيح، لأن الفعل على الراجح لا يشتق منه اسم، ولو صح هذا لأثبتنا لله كل الأسماء المشتقة من أفعاله(٦٠)، فنثبت اسم الفاطر والجاعل في قوله تعالى:" فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً"، واسم المنزل والسريع في قوله صلى الله عليه وسلم:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ"(٦١)...وهذا لا يجوز.

فلا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الثابت: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" والتسمية من الثناء.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم؛ فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة، ومعناهما حق، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها)(٦٢).

وكما هو معلوم فإن باب الصفات أوسع من باب الأسماء فالله تعالى يتصف بصفة الإحياء فلا محيي إلا هو سبحانه، لكن لم يأتي دليل على إثبات اسم المحيي له سبحانه فعلينا الوقوف عند الدليل في هذا الباب العظيم من أبواب الاعتقاد.

ومن تأمل حقا هذه الصفة (أي صفة الإحياء) وعلم أنه لا محيي إلى الله سبحانه أيقن ببطلان ما عليه أهل الشرك الذين أشركوا مع الله ما لا يحيي ذرة.

يقول شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى في كلامه عن تلك المناظرة التي جرت بين الخليل ابراهيم عليه السلام وقومه وقد قصها الله تعالى في كتابه الحكيم(٦٣): "وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جدا، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة،

---

(٦٠) وقد من الله تعالى علي منذ سنوات بالرد على صاحب كتاب (أسماء حسنى غير الأسماء الحسنى) حيث أثبت فيه كثيرا من الأسماء اشتقاقا من الأفعال، وقد نشر الرد بعنوان (كشف الغطاء عما في أسماء حسنى غير الأسماء الحسنى من الأخطاء).

(٦١) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال" اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم."-متفق عليه-.

(٦٢) شرح العقيدة الأصفهانية:١٩.

(٦٣) في سورة الأنعام، في قوله تعالى:" وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ..."الآيات:٧٥-٧٩.

لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله."(٦٤).

٩- من لوازم كمال الحياة دوام الملك، فمهما ملك ملوك الدنيا فإن ملكهم لا يدوم بل ينتقل وعنهم يزول، إما لغلبة تسقطهم أو موت يلحقهم(٦٥)، أما الحي الذي لا يموت والعزيز الذي لا يقهر فإن ملكه يدوم بدوام حياته، وميراث السموات والأرض ينفرد به الحي الذي لا يزول، أما حياة الملوك فإنها لا تدوم ولابد أن يأتيهم الموت بالضرورة واللزوم.

قال تعالى:" وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"-آل عمران:١٨٠-، وقال سبحانه: "إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون"-مريم:٤٠-، وقال عز شأنه: "وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ"-الحجر:٢٣-، وقال جل في علاه وتعالى في سماه:" يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفى عَلى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لمنِ الملكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ"-غافر:١٦-.

١٠- يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "فيجب على كل متكلف أن يعتقد أن الله سبحانه حي كما أخبر عن نفسه، وأن كل حياة فمن عنده، وأن أشرف أنواع الأحياء الملائكة وبنو آدم السعداء لبقائهم أحياء بقاء مؤبدا في حياة طيبة وعيشة راضية.

والكافر بعكس هذا في نار الجحيم لا يموت فيها ولا يحيا، ولو مات لاستراح ولكنه يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت.. فالحي حقيقة إنما هو من جاور الرفيق الأعلى وينعم في الحياة الهنيئة برؤية الله تعالى. فاجتهد أن تنال من هذا الاسم أوفر قسم فما قسمه الله إلا لك ولنوع الملك..."(٦٦).

١١- مما يشهد لحياة الله تعالى الكاملة العقل:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونية:

وكذاك يشهد أنه الحي الذي... ما للممات عليه من سلطان(٦٧)

فوجود هذا الكون باختلاف مكوناته وبسمائه وأرضه وبحاره لا بد له عقلا من موجد، لأنه كان في حيز العدم، ولا يمكن أن يوجد نفسه، ولا يمكن أن يوجد صدفة، فتبين أنه لا بد له من موجد، وهذا الموجد لا يمكن أن يكون إلا حيا حياة كاملة، وإلا ما استطاع إيجاد هذا الكون وإحياء من شاء فيه وإماتة من شاء فيه.

---

(٦٤) مفتاح دار السعادة:٢/٢٠٥.

(٦٥) يروى أنه عندما أتت هارون الرشيد رحمه الله تعالى سكرات الموت قال: أخرجوني أرى الجيش، فنظر إليهم، وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه. ورويت هذه الكلمة عن غير واحد من الأمراء.

(٦٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:٣٠٣.

(٦٧) متن القصيدة النونية:١٩٤.

قال تعالى:" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)"-الطور-.

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى:"﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم.

فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى."(٦٨).

فيستحيل عقلا أن يوجد هذا الكون بلا موجد، كما يستحيل عقلا ألا يكون هذا الموجد إلا حيا حياة كاملة بلا نقص يعتريها ولا عيب يشوبها، وإلا ما تمكن من إيجاد هذا الكون الفسيح بنظامه البديع" لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)"-يس-....

١٢- دعاء الله تعالى باسمه الحي:

أ- دعاء المسألة:

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:" يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث"(٦٩).

وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالساً، ورجلٌ يصلي، ثم دعا: اللهم! إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا انت، المنَّان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام! يا حي يا قيوم! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لقد دعا الله باسمه العظيم(٧٠)؛ الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئلَ به أعطى"(٧١).

---

(٦٨) تيسير الرحمن:٨١٦.

(٦٩) الحديث ثابت عن رسول الله صلى عليه وسلم من طرق عدة، فعند الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان إذا كربه أمر قال وذكره، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عند الحاكم: كان إذا نزل به هم أو غم قال وذكره.

(٧٠) ورد اسم الله تعالى (الحي) مقترنا باسمه القيوم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وقد ذهب كثير من العلماء سلفا وخلفا إلى أن هذين الاسمين مقترنين هما اسم الله الأعظم. وسيأتي تفصيل الكلام في هذا عند مدارسة اسم الله (القيوم) إن شاء الله تعالى.

(٧١) صحيح سنن أبي داود، حديث رقم:١٣٤٢.

وفي الموطأ أن أبا الدرداء رضي الله عنه: كان يقوم من جوف الليل فيقول نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم[٧٢]."[٧٣].

ب- دعاء العبادة:

يظهر في عدة وجوه منها[٧٤]:

- اعتقاد العبد أنه ليس هناك حي حياة ذاتية كاملة إلا الله جل في علاه.

- كل حي فإنما أحياه المحيي سبحانه فالإحياء صفة فعل له سبحانه كما أن الحياة صفة ذات له تعالى.

- لا مالك حقيقة إلا الله فكل ملك في هذه الدنيا زائل أو منتقل ويبقى الملك أولا وآخر للملك الحق الحي سبحانه.

- لا يجوز دعاء إلا من اتصف بالحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء، وهو الله رب الأرض والسماء.

- الحياة في هذه الدار ليست حياة حقيقية كاملة وإنما هي حياة ناقصة في دار بلاء واختبار ودار ممر لدار القرار حيث الحياة أبدية كاملة من كل الوجوه في نعيم دائم، وكل هم وغم فهو فيها منعدم زائل. وهذا يجب أن يحمل العبد على العمل للفوز بما لم يخطر على قلب بشر.

---

(٧٢) وروي نحوه مرفوعا بلفظ: "قل: اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم، يا حي يا قيوم! أنم عيني وأهدىء ليلي." لكنه ضعيف جدا كما قال العلامة الألباني في الضعيفة.

(٧٣) الموطأ: ١/٢١٩.

(٧٤) وقد سبق الكلام فيها لكن وجب التذكير بها هنا لاندراجها في دعاء العبادة باسم الله الحي.